

مِفْحَاحُ الْكُتُبِ

فِي أَخْبَارِ بَنِي إِيُوبَ

تأليف

جمال الدين محمد بن سالم بن واصل

(للتوفيق سنة ٦٩٧ هـ)

[الجزء الثالث]

تحقيق

الدكتور جمال الدين الشيبان

أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الإسكندرية

THE UNIVERSITY OF CHICAGO
DIVISION OF THE PHYSICAL SCIENCES
DEPARTMENT OF CHEMISTRY
5780 SOUTH CAMPUS DRIVE
CHICAGO, ILLINOIS 60637

RESEARCH ASSISTANT
JAMES H. HARRIS

1968-1969

1969-1970

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة الناشر

(١)

هذه ثلاث سنوات أخرى مرت منذ ظهر الجزء الثاني من هذا التاريخ الكبير شغلت خلالها بإنجاز بعض الأعمال العلمية^(١) الأخرى ، ولكن مفرج الكروب ظل مع هذا شغلي الشاغل ، لا أكاد أفرغ لنفسي بعض الوقت حتى أعود إليه أراجع نصوصه لأعد الأجزاء الباقية للطبع .

وها أنذا أقدم اليوم للقارئ الكريم الجزء الثالث ، وهو يغطي عصر أولاد صلاح الدين وأخيه الملك العادل ، أى حوادث ربع قرن من الزمان

(١) أشير هنا إلى بعض هذه الأعمال وهي :

— الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي الحديث ، الجزء الثاني (مصر والشام) ، القاهرة ١٩٥٨ .

— مجموعة الوثائق الناطمية ، الجزء الأول (وثائق الخلافة والوزارة) ، القاهرة ١٩٥٨ . وقد فز هذا الكتاب بجائزة الدولة التقديرية .

— رفاة رافع الطهطاوى (مجموعة نوابغ انكرا العربى) ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٨

— حلية الزمن بمناب خادم الوطن (سيرة رفاة الطهطاوى بقلم تلميذه صالح مجدى ، نشر وشقيق) ، القاهرة ١٩٥٨ .

— التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٥٨ .

— A History of Egyptian Historiography in the 19th century

(تحت الطبع) .

(د)

(٥٩٠ - ٦١٥ = ١١٩٤ - ١٢١٨) وهي حقبة خطيرة أوشك فيها البناء الشامخ الذي بناه صلاح الدين أن ينقض ، وأوشكت الوحدة القوية التي كدّ في تكوينها أن تنقسم عراها ، فقد اقتسم الملك بعده أولاده الثلاثة الكبار : الملك العزيز عثمان في مصر ، والملك الظاهر غازي في حلب ، والملك الأفضل علي في دمشق ؛ ثم لم يلبث أن قام النزاع والتخاصم بين الأخوة الثلاث ، ووقف عنهم الملك العادل عن كذب يرقب الأحداث ، ويتدخل بكائه ودهائه ليهد للأمر حتى تصل إلى نتيجتها المحتومة ، فلما نضجت الكثرة استعان بالأمرء الأسدية حتى اختاروه أتابكا للطفل الصغير الملك المنصور بن الملك العزيز صاحب مصر ، ثم لم يلبث أن عزله وولى العرش مكانه وأعاد للدولة وحدتها كما كانت أيام أخيه صلاح الدين ، ولم يبق خارجها إلا مملكة حلب التي تتابع على حكمها حتى نهاية الدولة سلالة الملك الظاهر بن صلاح الدين .

وكانت حجة الملك العادل التي حاول بها أن يبرر استئثاره بالملك دون أولاد أخيه تمثل مبدءاً جديداً وخطيراً ، فإنه قال : « إنه قبيح بي أن أكون أتابكا لصبي مع الشيخوخة والتقدم ، مع أن الملك ليس هو بالميراث ، وإنما هو لمن غلب ، ولقد كان يجب أن أكون بعد أخي السلطان الملك الناصر - رحمه الله - صاحب الأمر ، غير أنني تركت ذلك إكراماً لأخي ورعاية لحقه .. الخ »^(١)

وكان من الممكن أن يقبل هذا القول من الملك العادل لو أنه كان يعنيه حقاً ، أو لو أنه التزمه مع نفسه وأولاده ، ولكن الواضح أنه ساق هذا القول لتبرير فعلته وحسب ، بدليل أنه تمسك بمبدأ الوراثة بعد قليل ، فقسم الملك بين

(١) انظر بقية الحديث فيما يلي هنا ، ص ١١١ .

أولاده الثلاثة : الكامل والمعظم والأشرف ، قبل وفاته ، وظل الملك في مصر — على الأقل — وراثياً في عقبه إلى أن انتهت الدولة .

وقد شرح ابن واصل في هذا الجزء الصراع العنيف الذي قام بين أولاد صلاح الدين شرحاً وافياً مستفيضاً ، وكشف القناع عن الأدوار التي لعبتها القوى الكبرى التي شاركت في هذا الصراع ، فقد كان هناك صراع خفي بين أنواع من القوى ، بين الأمراء الأسدية والأمراء الصلاحية ، وبين الأكراد والأتراك ، ووسط هذه اللجة المصطنجة من النزاع كنا نرى أيدي كبار القواد ورجال الدولة الذين عملوا مع صلاح الدين تلعب تارة في الخفاء وتارة في العلانية ، فتعمل مرة على إخماد نار الفتنة ، وتعمل مرة أخرى على إشعال نيرانها وتوسيع شقة الخلاف ، وقد جرت عادة المؤرخين الذين أرخوا لهذه الفترة أن يرصدوا حركات أولاد صلاح الدين وعمهم العادل ، ولكن القارئ لهذا الجزء من مفرج الكروب يدرك أنه لكي يفهم أسباب هذا النزاع وأحداثه لا يمكن أن يغفل الأدوار التي لعبها الأمراء الصلاحية من أمثال : نحر الدين جهاركس ، وفارس الدين ميمون القصرى ، وشمس الدين سنقر الكبير ، وصارم الدين قايماز النجمى ، وحسام الدين أبو الهيجا السمين ، وبهاء قراقوش ، والقاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى . . الخ .

فتاريخ بنى أيوب — فيما أرى — لا يمكن أن يفهم فهماً صحيحاً إذا نحن قصرنا دراستنا على ملوك بنى أيوب وأعمالهم ، بل أصبح من الواجب أن ندرس موقف القوى الحربية التي كانت تكون الجيش الأيوبى من أكراد وأتراك وخوارزمية وعربية ، والعصبيات التي تكونت من أسدية وصلاحية وكالمية وصلاحية وغيرهم ، وأن ندرس إلى جانب هذا سير كبار القواد والأدوار التي لعبوها في تطور تاريخ هذه الأسرة .

(و)

والمؤلف يؤرخ في هذا الجزء تاريخاً شاملاً لمنطقة الشرق الأدنى العربي خلال هذا الربع قرن ، فيشير إلى الأحداث في اليمن وإلى ولايتها من بنى أيوب ، ويتتبع الصراع الذي كان لا يزال قائماً ومستمراً بين الأيوبيين وبقايا الصليبيين في الشام ، بل إنه يرصد تحركاتهم خارج العالم الإسلامي فيشير إشارة سريعة إلى الحملة الصليبية الرابعة التي اتجهت إلى القسطنطينية^(١) واستولت عليها ، وهو يعنى كذلك بالتاريخ للدول الإسلامية المجاورة وحكامها والعلاقات بينها وبين بنى أيوب ، وبخاصة الخلافة العباسية ، ودولتي الأتابكة وسلاجقة الروم .

(٢)

وابن واصل وإن كان قد عاش بعض سنوات هذه الحقبة التي يؤرخ لها هذا الجزء والتي تبدأ بسنة ٥٩٠ وتنتهى بسنة ٦١٥ هـ إلا أننا لا نعتبره معاصراً لها . فقد ولد سنة ٤٦٤ ، وكان قد بلغ الحادية عشرة من عمره في نهاية هذه الحقبة ، وهي سن لا تؤهل لإدراك الحوادث إدراكاً صحيحاً ، ولهذا فهو لا زال ينقل عن سبقه من المؤرخين ، وهو في هذا الجزء ينقل بصفة خاصة عن المؤرخين الآتية أسماؤهم :

— ابن القادسي

— العماد الأصفهاني

— عز الدين بن الأثير

— ضياء الدين بن الأثير

ونقواه عن هؤلاء لها أهمية كبرى فإن ابن القادسي مؤرخ عراقي عاش في أواخر القرن السادس الهجري وأدرك القرن السابع ، وكتابه في التاريخ ذليل به على تاريخ

(١) انظر ما يلي هنا ص ١٦٠ تحت عنوان « ذكر استيلاء الفرنج على قسطنطينية » .

(ز)

ابن الجوزى « المنتظم » ، ومعلوماته عن تاريخ العراق والخلافة العباسية وثيقة وهامة ، غير أن كتابه للأسف من الكتب المفقودة ، ولم يبق منه إلا هذه الشذرات القليلة التي نقلها عنه ابن واصل في مفرج الكروب ، وشذرات أخرى نقلها سبط ابن الجوزى في «مرآة الزمان» وابن تفرى بردى في «النجوم الزاهرة» وغيرها من المؤرخين اللاحقين .

أما العماد الأصفهاني فكان قد انتهى من التاريخ لعصر صلاح الدين في كتابه الفذ « البرق الشامى » وعليه اعتمد الأغلبية العظمى من مؤرخى العصر الأيوبي ومن بينهم ابن واصل ، ثم ظل العماد بعد وفاة صلاح الدين على صلة وثيقة بأبنائه وأخيه العادل ورجال دولته ، وألف للتاريخ للسنوات السبع التي عاشها بعد ذلك (توفى ٩٥٧ هـ) ثلاث رسائل هي : «العتبي والعتبي» و «نحلة الرحلة» و «خطفة البارق وعطفة الشارق» ، وكلها — رغم أهميتها القصوى — مفقودة ، وإن كان أبو شامة قد لخصها تلخيصاً موجزاً جداً في الصفحات الأخيرة من الجزء الثانى من كتابه «الروضتين في أخبار الدولتين» ، إلا أن ابن واصل ينقل في هذا الجزء فقرات كثيرة وهامة جداً من هذه الرسائل ، ومما يزيد في أهمية هذه النقول أنها لا توجد في الروضتين أو في أى مرجع آخر من المراجع التي أرخت للأيوبيين .

وبوفاة العماد في سنة ٥٩٧ هـ يصبح «الكامل في التاريخ» لعز الدين ابن الأثير عمدة ابن واصل ومرجه الأول ، كما أنه ينقل أحياناً — عند التأريخ للأتابكة — عن كتابه الآخر «الباهر» .

كذلك رجع ابن واصل في هذا الجزء إلى مجموعة رسائل ضياء الدين ابن الأثير ونقل الكثير من هذه الرسائل التي تناقأ أضواء جديدة على قصة الصراع بين أولاد صلاح الدين ، ولا غرو فقد كان ضياء الدين وزيراً للأفضل

(ح)

ابن صلاح الدين — صاحب دمشق ، وإلى رعوته — فيما يذكر ابن واصل وغيره من المؤرخين — ، ترجع أسباب فشل الملك الأفضل في سياسته وحكمه .
وابن واصل — كعادته — لا ينقل عن هذه المراجع نقلاً حرفياً دائماً ، بل قد يلتزم النص الذي ينقل عنه ، وقد يوجز أو يختصر ، وقد يضيف من عنده روايات شفهية سمعها من معاصريه ، وهو في معظم الأحوال يقارن بين آراء المؤرخين ، ويصوب قول هذا أو يخطئ قول ذاك أو يناقش الآراء ويأتي برأى جديد يرى أنه الصواب ، وهو في كل هذه الاستدراكات يبدأ استدراكه بكلمة « قلت » .

ولندرة المراجع المعاصرة الأصيلة التي أخذ عنها ابن واصل أو لضياعها أصبح كتابه « مفرج الكروب » العمدة والمرجع لمعظم المؤرخين العرب الذين عاشوا بعد القرن السابع الهجري وكتبوا عن العصر الأيوبي ، من أمثال أبي الفدا ، والذهبي ، والمقرئزي ، وابن تغري بردي ، والنعمي وغيرهم ، ولهذا اعتبرت كتب هؤلاء المؤرخين نسخاً أخرى وراجعت عليها نصوص مفرج الكروب كلما وجدت بها نقولاً أو اقتباسات منه .

(٣)

وهذا الجزء مليء بالمقطوعات الشعرية التي نقلها ابن واصل عن دواوين الشعراء المعاصرين وضمنها كتابه ، ومن هؤلاء :

— ابن سناء الملك

— وشرف الدين بن عنين

(١) انظر مايلي هنا ، ص ٣٨ هامش ٢ ، ص ٥٦ هامش ١ ، ص ٦٦ هامش ١ ،

(ط)

- والعماد الكاتب الأصفهاني
- وبهاء الدين أسعد بن يحيى السنجاري
- وسالم بن سعادة الحمصي
- وشرف الدين راجح الحلبي
- وكمال الدين بن النبيه المصري
- والخليفة العباسي الناصر لدين الله
- والملك الأفضل علي بن صلاح الدين
- والملك العادل أبو بكر
- وغيرهم كثيرون

وقد عارضت الشعر على دواوين هؤلاء الشعراء — إن وجدت — لتقويم النص وضبطه بالشكل ، وهذه المجموعة الضخمة من شعر العصر تزيد في أهمية « مفرج الكروب » فإن بعض هذه المقطوعات مما ينفرد هو بإيرادها ولا توجد في المراجع الأخرى ، والبعض الآخر لشعراء ضاعت دواوينهم أو لازالت مخطوطة لم تطبع بعد مثل ديوان شرف الدين راجح الحلبي ، وبعض ثالث يتضمن أبياتاً لا توجد في الدواوين المعروفة .

(٤)

وهذا الجزء يشبه الجزئين السابقين بكثرة ما به من وثائق رسمية نقلها المؤلف ليؤكد الحقائق التاريخية التي يرويها أو ليزيدها إيضاحاً وتوثيقاً ، والمؤلف — كعادته — يثبت بعض هذه الوثائق كاملة حيناً ومنقوصة حيناً آخر ، وأعود فأكرر هنا الأهمية القصوى لهذه الوثائق باعتبارها المصدر الأول الأكيد للمؤرخين ، ولهذا عنيت بإبراز هذه الأهمية في مقدمتي الجزئين الأول والثاني ،

(ى)

ولهذا ألحقت بالجزء الثانى إحدى وعشرين وثيقة أيوبية ، وإتماماً لهذه الخطة وتمهيداً لإخراج مجموعة مستقلة تضم وثائق العصر الأيوبي على نمط المجموعة التى أخرجتها للوثائق الفاطمية ، ألحقت بهذا الجزء اثنتين وثلاثين وثيقة أيوبية أخرى مما عثرت عليه فى بطون المراجع التاريخية والأدبية المختلفة .

وللوثائق التى أوردها ابن واصل فى هذا الجزء أهمية كبرى لضياح أصولها ولانفراد ابن واصل بإيرادها ، وللدلالة على أهميتها يكفى أن نشير هنا بعض منها :

— رسالة بقلم العماد الكاتب مرسله من الملك الأفضل بن صلاح الدين

— بعد وفاة والده — إلى الخليفة الناصر لدين الله

— نموذج طريف لخطة عقد الزواج فى العصر الأيوبي بين الملك العزيز

ابن صلاح الدين وابنة عمه الملك العادل .

— رسالة من ضياء الدين بن الأثير الوزير إلى بعض إخوانه

— قطعة من رسالة مرسله من الملك الظاهر صاحب حلب إلى الملك المنصور

صاحب حماة

— خطابان بقلم الوزير صفى الدين بن شكر من الملك العادل إلى الملك المنصور

صاحب حماة

— رسالة من الملك العادل إلى ابن أخيه الملك الأفضل

... الخ ... الخ

(٥)

وهذا الجزء كسابقه فيه عدد كبير من المصطلحات الإدارية والحربية والاجتماعية التى كانت مستعملة فى العصر الأيوبي ، وقد تابعت العناية بها وشرحتها فى الهوامش شرحاً وافياً بقدر ما سمحت لنا به المراجع والمعاجم المتداولة

(ك)

وأشرت إلى هذه المراجع والمعاجم في نهاية الشرح ليرجع إليها من يريد التثبيت أو الاستزادة ، وقد أشار ابن واصل في هذا الجزء إلى وظيفة إدارية هامة لم أجد لها ذكراً في المراجع المعاصرة الأخرى وهي : ولاية البر (ووالى البر) بحماة ، ومن المصطلحات التي شرحناها فيما يلي — على سبيل المثال لا الحصر — :

المثال (ص ٧ ، هامش ٢) و كوكبورى (ص ١٧ ، هامش ٣)

والسنجق (ص ٢٥ ، هامش ١) والغاشية (ص ٢٥ ، هامش ٢)

والبيزك (ص ٤٨ ، هامش ١) والكوسات (ص ٥١ ، هامش ٣)

والارتفاعات (ص ٥٤ ، هامش ١) والمقاردة (ص ٩٣ ، هامش ٥)

والكمة (ص ١٣٤ ، هامش ٣) والزرديخا ناه (ص ١٣٥ هامش ٢)

وتركيبى (ص ١٤٦ هامش ٢) ... الخ ... الخ

ولا زلت أكرر الدعوة إلى ضرورة الاهتمام بهذه المصطلحات الحضارية وجمعها وشرحها فهي من الأدوات الهامة التي لا يمكن لمن يريد التأريخ لنظم الحكم أو الحضارة في العالم الإسلامى على تلك العصور الاستغناء عنها .

وقد حاولت جهدى كذلك ضبط أسماء المدن والقرى وأسماء الأعلام كما ترجمت ترجمات موجزة في الهوامش لمشاهير العصر أو أشرت إلى المراجع التي ترجمت لهم ليرجع إليها من يريد .

وفي هذا الجزء أخيراً فقرات تحدث فيها المؤلف عن نفسه فهي تعيننا على تعرف سيرته أو تحديد تاريخ تأليف الكتاب ، ومن أهمها إشارته في ص ٩ إلى زيارته لحلب في سنة ٦٢٧ هـ (وكان في الثالثة والعشرين من عمره) وإقامته هناك في مدرسة القاضى المؤرخ بهاء الدين بن شداد وتلامذه عليه .

(ل)

(٦)

هذا وقد كنت أخذت نسخة مكتبة كامبردج (المرموز لها بحرف ك) أصلاً لنشر الجزئين الأول والثاني مع معارضة النص على نسخة باريس رقم ١٧٠٢ ، وأردت أن أسير على نفس النهج في هذا الجزء على أن أعارض النص على نسخة مكتبة ملاقبي رقم ١١٩ التي تبدأ بالأحداث التالية لوفاة صلاح الدين ونسختُ أوراق هذا الجزء مكتملة عن نسخة (ك) وبدأتُ العمل لضبط النص وتقويمه ، ولكنني لم أكد أتقدم في العمل خطوات حتى تبين لي أن نسخة ملاقبي أفضل بكثير من نسخة كمبردج ، فقطعتُ أوراقى وبدأتُ من جديد ونسختُ النص عن نسخة استانبول واتخذتها أصلاً للنشر مع مقابلتها على نسختي باريس ١٧٠٢ وكمبردج ، فقد اتضح لي أن نسخة كمبردج كانت النسخة الأولى التي كتبها المؤلف ، ولكنه أعاد النظر فيها بعد ذلك ، فعدّل في النص كثيراً وقوّمه وأضاف إليه في بعض الأحيان ، والنسخة المعدلة المصححة هي نسخة استانبول ، وهي لحسن الحظ تبدأ بما يبدأ به هذا الجزء الثالث ، فإن عنوانها هو :

ذكر ما استقرت

الحال عليه من الممالك

بعد وفاة السلطان — رحمه الله —

وقد نهت في الهوامش إلى الفروق الواضحة التي تدل على أفضلية نسخة ملاقبي على نسخة كمبردج ، انظر مثلاً : (ص ٩٢ . هامش ٥) و (ص ٩٧ ، هامش ٧) و (ص ١٠١ ، هامش ١) و (ص ١٠٨ ، هامش ١) . الخ

أما نسخة باريس ١٧٠٢ (وقد رمزنا لها بحرف س) فهي — كما بينت في مقدمة الجزء الأول — أسوأ النسخ ، فهي مضطربة الترتيب والصفحات ، وبها خروم كثيرة^(١) ، وكاتبها جاهل كثير الأخطاء .

ومع هذا فإن نسختي كبردج وباريس لم تخلوا من الفائدة ، فقد أعانتاني أحياناً على قراءة ما تعسر على قراءته في نسخة الأصل ، وكانت بهما أو باحداهما زيادات تنور النص فأضفتها أتماماً للفائدة مع التنبيه دائماً في الهوامش إلى الفروق الواضحة بين النسخ الثلاث .

ومن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار نسخة ملاچبي أصلاً للنشر — إلى جانب صحة النص واستيفائه ودقته — أنها أقدم النسخ الموجودة جميعاً ، بل إنني أرجح أنها كانت نسخة المؤلف نفسه أو أنها كتبت أثناء حياته ، فقد كتب اسم المؤلف على الصفحة الأولى وتحتته « عفا الله عنه » ، والعادة أن الناسخ إذا كتب الكتاب بعد وفاة مؤلفه أن يدعو له بالرحمة ، فيتبع اسمه بالدعاء المعروف « رحمه الله » ، أما النص تحت عنوان الكتاب فهو :

« تأليف الفقير إلى رحمة الله تعالى محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم
بن واصل عفا الله عنه » .

ومما يرجح هذا الظن ويؤكدده أن نفس الصفحة تحمل بعد ذلك اسم مواطن للمؤلف من حماة تملك النسخة بعد وفاة المؤلف بخمس وأربعين سنة فقط (أي في سنة ٧٤٢) ، كما تحمل اسم عالم آخر قريب للسابق نص على قراءته

(١) أنظر ما يلي هنا ص ٣٩ ، هامش ١ وص ٤٢ ، هامش ١ وص ٧٠ ، هامش ١
وص ١٣٥ ، هامش ٤ . . الخ

(ن)

للنسخة في سنة ٥٧٨٤ هـ ، أي بعد وفاة المؤلف بسبع وثمانين سنة ، وفيما يلي نص التمليكين :

« كان في يد علي بن الحسن بن علي بن عبد الوهاب الحموي ، ابتاعه بالقاهرة في جمادى الآخرة سنة اثنين وأربعين وسبعائة » .

و « طالع مفرج الكروب من أوله إلى آخره أقل عبيد و (أحو) جهم إلى رحمته أيوب بن حسن بن علي بن عبد الوهاب ، عفا الله عنه وتاب على (يه) وعلى من ت (رحم عليه وعلى والديه ، ودعا له بخاتمة الخير ، وذلك في شهر ذي القعدة من سنة) أربعة وثمانين وسبعائة ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً » .

هذا ويوجد على هامش ص ١٠١ من هذه النسخة تملك ثالث متأخر ، تاريخه سنة ٥٨٧٧ هـ ، ونصه :

« نظر في هذا التاريخ المبارك العبد الفقير إلى (الله) تعالى ، وأحوجهم إلى عفو محمد بن المرحوم حسن غفر الله له ولوالديه ولمن دعا له بالتوبة والغفرة وللمسلمين أجمعين (كذا) ، آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله و (صحبه) وسلم تسليماً كثيراً ، في تاريخ الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثمانائة من الهجرة النبوية » .

وصفحة العنوان من نسخة استانبول تحمل الدليل على منهج المؤلف في تجزئ الكتاب ، ففيها ما يشير إلى أن هذه النسخة هي الجزء الثاني ، وهذا هو نص العنوان الذي تحمله الصفحة الأولى :

(س)

الجزء الثاني من كتاب

مفرج الكروب

في أخبار ملوك بني أبوب

رحمهم الله تعالى

أى أن المؤلف جعل الجزء الأول من كتابه ينتهى بنهاية عصر صلاح الدين ووفاته ، ثم بدأ الجزء الثانى بالتاريخ للأحداث التى تلت وفاة صلاح الدين ، أما كاتب نسخة كمبروح فقد اتخذ لنفسه أساساً آخر لتجزىء الكتاب ، فقد وقف عند كلامه عن مسير الملك العادل إلى الديار المصرية سنة ٥٩٦ هـ ، وبدأ الأحداث الجديدة التالية بالبسملة مكتوبة فى وسط السطر بحروف كبيرة فى صفحة جديدة ويلبها « رب يسر وأعن » ، مما يفيد أنه كان يريد تقسيم الكتاب إلى أجزاء ، فجعل الجزء الثانى يبدأ بمسير الملك العادل إلى مصر وتملكه لها ، فهو بهذا أراد أن يجعل الجزء الأول شاملاً لعصر صلاح الدين وأولاده ، والجزء الثانى شاملاً لعصر العادل وسلالاته .

أما نحن فقد اتخذنا أساساً مخالفاً لتقسيم الكتاب ، وذلك لضخامته ووفرة عدد صفحاته التى تنيف فى الأصل على الألف ، فجعلنا الجزء الأول ينتهى بوفاة نور الدين واستقلال صلاح الدين الفعلى بحكم مصر ، وأفردنا لعصر صلاح الدين من مبدئه إلى نهايته الجزء الثانى ، أما هذا الجزء الثالث فيغطى عصر أولاد صلاح الدين وأخيه العادل وينتهى بوفاة العادل سنة ٦١٥ هـ .

ويبقى بعد ذلك ثلاثة أجزاء ، أحدها (وهو الرابع) سيفطى عصر الملك الكامل محمد (٦١٥ - ٦٣٦٥ هـ) والآخران (الخامس والسادس) يشملان

(ع)

عصر الملك الصالح نجم الدين أيوب وابنه توران شاه وقيام دولة المماليك ، وسألحق
بالجزء الأخير الذيل الذي ذيل به على الكتاب على بن عبد الرحيم بن أحمد ،
تلميذ المؤلف ومواطنه ، وقد وصل فيه إلى سنة ٦٩٥ هـ .

هذا وقد كنت أشرت إلى أنني سألحق بهذا الجزء الثالث مجموعة الفهارس
التفصيلية للأجزاء الثلاثة معا ، غير أنني لاحظت بعد البدء في طبع هذا الجزء
أنه سيتضخم إذا أنا نفذت هذه الفكرة ، فنصحتني بعض الأصدقاء أن ألحق
بهذا الجزء الفهارس الخاصة به وحسب ، فعملت بنصيحتهم على أن ألحق
بكل جزء من الجزئين الأولين الفهارس الخاصة به عند إعادة طبعه وخاصة
أن نسخ الجزء الأول قد نفذت كلها ، وأوشكت نسخ الجزء الثاني أن تنفذ
كذلك ، وأرجو أن أوفق قريباً إلى إعادة طبعهما مع إلحاق كل جزء بالفهارس
الخاصة به ، وكذلك سيكون منهجى إن شاء الله في الأجزاء الثلاثة الباقية .

— ٧ —

وبعد فهذا هو الجزء الثالث من مفرج الكروب ، وهذا هو منهجنا
في نشرنا ، نرجو أن نكون قد وفقنا في أداء الأمانة العلمية حق أدائها ، والله
وحده يعلم كم بذلنا من جهد وكم صرفنا من وقت في ضبط نصه وإخراجه ،
وقد كان للترحاب الذي قوبل به الجزءان السابقان ولكلمات التشجيع التي
أضفاها علينا أساتذة أجلاء وأصدقاء أعزاء الفضل الأكبر في شحذ الهمة لإتمام
إخراج الكتاب رغم ما يكتنفنا ويحيط بنا من مشاغل العمل والحياة .

فإلى هؤلاء الأساتذة الأصدقاء أزجى أجمل آيات شكرى وفي مقدمتهم
أستاذى الجليلين الأستاذ محمد شفيق غربال والدكتور محمد مصطفى زيادة وصديق

(ف)

الصبا والشباب والعمل الدكتور حسين مؤنس ، وكذلك أقدم شكرى القلبي
الصادق إلى الأصدقاء الأجلاء والأساتذة الأعلام : عالمى حلب وحماة الأستاذين
طاهر النعساني وقدرى كيلانى ، وعالمى بغداد الدكتورين عبد العزيز الدورى
ومصطفى جواد ، والمؤرخ المحقق الدكتور قسطنطين زريق ، والصديقين الباحثين
الدكتور صلاح الدين المنجد والدكتور بشر فارس .

أما المستشرقون الكبار المنيون بالتاريخ الإسلامى فإن لهم فى عنقى دين كبير
لا أستطيع أن أفيه حقه ، فإليهم جميعاً شكرى الجزيل ، وأخص بالذكر
الأستاذ جب بجامعة هارفارد ، والأستاذ برنارد لويس بجامعة لندن ،
والأستاذ كلوكاهن بجامعة استراسبورج ، والأستاذ هنرى ماسين بالكوليج
دى فرانس .

وكذلك شكرى الكبير إلى الصديقين الأستاذين جورج قنوائى ورشدى
الحكيم على النقد^(١) القيم الذى تفضل كل منهما بكتابته عن الجزء الثانى
من مفرج الكرب ، وإنى أرجو أن أكون قد أفدت من توجيهاتهما
العلمية الممتازة .

وأقدم شكرى الجزيل كذلك لصديقى الكريم الأستاذ عبد المنعم عامر ،
فقد تفضل بتصحيح تجارب القسم الأعظم من هذا الجزء ، وإلى تلميذى القديم
الأستاذ درويش النخيلى المدرس بمدرسة المعلمين بدمنهور على الجهود الضخمة التى
بذلها فى عمل فهرس هذا الكتاب ، جزاها الله عنى وعن العلم كل خير .

وأرجو أخيراً أن استمىح القارئ عذراً لما يتخلل هذا الجزء من أخطاء

(١) نشر النقد الأول باللغة الفرنسية فى مجلة معهد الدومتيكان بالقاهرة : ونشر النقد الثانى

فى مجلة المشرق التى تصدر فى بيروت ، عدد كانون الثانى — شباط ١٩٥٩

(ص)

مطبعة ، فقد كنت أقوم على تصحيحه وأنا أعد العدة للسفر إلى المغرب لأتسلم
عملي هناك مستشاراً ثقافياً للجمهورية العربية المتحدة ، فكان للعجلة أثرها
في كثرة الأخطاء المطبعية ، والعجلة من الشيطان ، حمانا الله وأعاذنا من الشيطان
ومن العجلة .

والله أسأله أن يوفقني دائماً للعمل الصالح وأن يهبني القوة لإتمام هذا الكتاب ،
ولخدمة أمتنا العربية وتاريخها المجيد .

جمال الدين السبيل

الاسكندرية في
} ٦ رمضان ١٣٧٩
} ٣ مارس ١٩٦٠

مراجع التحقيق

تضاف هذه المراجع إلى قائمتي المراجع التي استعملت
في تحقيق (الجزء الأول والجزء الثاني)

(١) المراجع العربية

ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله بن محمد) :
= رسائل ابن الأثير ، نشر أنيس المقدسي ، بيروت ، ١٩٥٩ م .

البغدادي (عبد اللطيف) :
= الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض
مصر ، القاهرة ، ١٢٨٦ هـ .

ابن خير الله الخطيب العمري (ياسين) :
= منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء ، نشر سعيد الديوه جي ،
الموصل ، ١٩٥٥ م .

الديوه جي (سعيد) :
= الموصل في العهد الأتابكي ، بغداد ، ١٩٥٨ م .
= الجامع المجاهدي في مختلف العصور ، مجلة سومر ، ١١٠ .

رمزي (محمد) :
= القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .

زيدان (جرجي) :
= تاريخ المدن الإسلامي ، ٥ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٣٥ م .

ابن شداد (عزيز الدين أبو عبد الله محمد الحلبي) :
= الأعلام الخطيرة - تاريخ مدينة دمشق - نشر الدكتور سامي
الدهان ، دمشق ، ١٩٥٦ .

عبد اللطيف (محمد فهمي) :
= الفتوة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٤٨ م

ابن عمار البغدادي :
= الفتوة ، نشر الدكتور فؤاد حسنين ، القاهرة ، ١٩٥٩ م

عواد (ميخائيل) :
= المآصر في بلاد الروم والإسلام ، بغداد ، ١٩٤٨ م

كرد علي (محمد) :
= غوطة دمشق ، دمشق ، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

مبارك (علي) :
= الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة
والشهير ، ٢٠ جزءاً ، القاهرة ، ١٣٠٦ هـ

(ب) المراجع غير العربية

— Histoire des Patriarches d' Alexandrie. trad :
Blochet, Revue de L' Orient Latin, 1907 .

Le Strange, Y. :

= Palestine Under the Moslems, London, 1890 .